قيم ما أحلاها كلنا افتقدناها

فى العقد الأخير من هذا القرن وهو عقد التسعينات سرعان ما تلاشت ركائز السلوك الإنسانى التى لا يسمى الإنسان إنسانا إلا بها، وكان من هذه الركائز:

● **الحب:** حب الخالق، وحب الناس وحب العمل وإتقانه، وحب الخير والصدق والحق والمال، وحب الحياة بوجه عام.

وا أسفاه! فقدنا الحب فصارت حياتنا حياة الفقراء جدباء صعيدا زلقا.. فقدنا الحب، فتشوهت علاقاتنا الإنسانية، وأضحى الناس فى كبد وصراع، كالعجماوات فى بيداء الحياة، فقد بعضنا الإدراك والحس والشعور وكأنهم موتى بلا قبور، ومن هنا رأينا أخا يقتل أخاه، ووالدا يذبح ولده، وزوجة تطلق النار على زوجها أو العكس، وابنا عاقا يقتل والده، وخالا يغتصب إبنه أخته وحفيدا يحرق جدته، وهكذا يأكلنا الهلع ويشتد الكرب، وتزداد الطامة الكبرى إمعانا فى انتشار السلوك المضاد للمجتمع.

● وكان ثانى الركائز الإنسانية التى فقدناها ركيزة « **الرحمة**» والرحمة من الرحمن ومن لا يرحم لا يرحم، والمجتمع المتقارب المتراحم المتكافل أقرب المجتمعات إلى الله.

د.عزت عبدالعظيم الطويل
أستاذ علم النفس بكلية الآداب
جامعة بنها

إن أفراد مجتمع ما، لا يتوادون أو يتراحمون، ولا يرحم القوى الضعيف، ولا يحنو الكبير على الصغير، ولا يعطف الرجل على المرأة.. ولا يساعد الشاب الفتى الكهل الفانى. إن مجتمعا كهذا مجتمع يجتاحه الإعصار والهلع.

● والركيزة الثالثة التى فقدت هى « **الانضباط**» ففى معظم مناحى حياتنا الاجتماعية والنفسية تضرب الفوضى بجذورها فى أعماق وكيان معظم الأفراد على أغلب المستويات التعليمية والثقافية، والتوجهات الاجتماعية، والاتجاهات النفسية، وهناك فوضى الشارع المصرى - على سبيل المثال - من زحام الأماكن ، وكثافة المرور ، وارتباك المواصلات، واضمحلال السلوك الراقى المتحضر وانعدام النظام، وكثرة الحوادث العمدية.

والواقع أن الانضباط اتجاه نفسى مكتسب من المنزل، وتنشئة اجتماعية نشأ عليها الفرد، وعملية تعلم اجتماعى تدرب عليها الانسان وعادات سلوكية مرغوبة شربها الطفل منذ ولادته، وسار على دربها ومن سار على الدرب وصل.

● وكانت الركيزة السلوكية الرابعة المفقودة « **الاحترام**» الذى ولّى وغاب وسادت «البجاحة والاستهتار» بدلا من الاحترام والوقار، ومن ثم أطلت «البلطجة» علينا بوجهها الكالح لتصيب أفراد المجتمع الآمنين فى مقتل وتنشر الفساد والخراب وتعيث فى الأرض فسادا.

وكأن شعار «ارفع رأسك يا أخى..» هذا الشعار القديم عند بداية ثورة يوليو كان بمثابة زوال الاحترام من حياتنا الاجتماعية إلى حد كبير، على أنه إذا كان هناك بقية من احترام فمرجعه إلى الخوف والخوف فقط، ولم يعد هناك احترام سائد بين الناس بوجه عام ولا بين الرئيس والمرؤوس فى العمل، أو احترام الصغير للكبير بوجه خاص.

وليس الحال مقصورا فقط على انعدام مفهوم الاحترام بين الأشخاص، بل تعداه إلى رموز المجتمع والشخصيات العامة.

والواقع أن الاحترام يبدأ من احترام الفرد لذاته أولا حيث إن «احترام الذات» أو تقدير الذات يعتبر من الحاجات النفسية الضرورية فى حياة الإنسان، وعندما يتم إشباع مثل هذه الحاجات النفسية لدى الفرد فإنه يشعر بالتقدير والنجاح.

● أما عن الركيزة الإنسانية الخامسة التى فقدناها أو نكاد فهى «**الذوق**» الذى أصبح عملة نادرة في حياتنا الاجتماعية.

فها هو ديننا الإسلامى الحنيف يحض على الذوق وكذلك الشرائع السماوية الأخرى.

إن الذوق أو الرفق ما هو إلا برهان قوى ودليل أكيد على إنسانية الإنسان السوى، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» متفق عليه وعنها أيضا أن النبى ﷺ قال: إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه» رواه مسلم.

وفى العشر سنوات الأخيرة من هذا القرن أصبح العنف قاعدة، والذوق استثناء، ولا سيما حين سلبت الدولة وظائف الأسرة ومنها وظيفة التنشئة الاجتماعية و «التربية والتعليم».. هنا برز السلوك الهمجى، وتفشى بين الأفراد القلق والاستهجان والتواكل والعدوان لماذا؟ لأن البراعم الصغيرة (الأطفال) انتقلت مبكرا من تربة خصبة حانية إلى تربة جدباء قاسية، فأفرزت أنماطا سلوكية بعيدة تماما عن الذوق مثل: تشويه جدران المنزل والنادى ، وقطع الزهور والأشجار ووطئها بالأقدام ووضع قمامة المنازل بجوار المدارس ودور العبادة والحدائق العامة وقذف المخلفات والقاذورات فى الأنهار والبحيرات، وأصاب التلوث البيئى الأخلاقى والسمعى والبصرى معظم مناحى حياتنا الاجتماعية، ولم يعد للإحساس بالفن والجمال مكان في المجتمع إلا نادرا وقلما نسمع الكلمات الرقيقة أو نصادف المجاملات الإنسانية، ويعزى ذلك إلى أن ديناميات أفراد الأسرة تتحدد أساسا طبقا لمدى إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية لكل فرد فيها، كما تتسم العلاقات الاجتماعية لأى جماعة إنسانية بالمرونة والرفق والتناغم والذوق العام إذا كانت الجماعة مصدر قوة ومنفعة وتجاذب لكل فرد من أفرادها، ومن ثم تصل الجماعة - ككائن حى - إلى أهدافها السيكودينامية بسهولة وانسيابية.. وهنا نتساءل: هل تتوافر مثل هذه المقومات النفسية والاجتماعية لدى جماعة اليوم؟

الإجابة: يتوقف ذلك على نوع المناخ النفسى الذى تعيشه الجماعة.